احتلال منطقة سطيف وتطور حركة الاستيطان الأوربي بها بين سنتي 1838-1900 : مساهمة تاريخية

الدكتور :بيرم كمال

أستاذ محاضر قسم التاريخ جامعة المسيلة

المقدمة :

الهدف من هذه المقال تحقيق هدفين أساسيين أولاهما تكوين قاعدة أساسية لكتابة تاريخ منطقة سطيف في ظل غياب الكتابات بالعربية ،وثانيهما إبراز جوانب التاريخ المحلي للمنطقة ومساهمتها في المقاومة الشعبية رغم ما يحمله التاريخ من تناقضات لا نريد ان نسجلها الا كما حصلت وفق ظروفها .وانطلاقا من وثائق ارشيف ما وراء البحار بفرنسا باكس اوبروفانس بمرسيليا، نحاول من خلال هذه المساهمة التاريخية تقديم جوانب مقتضبة من تاريخ الاحتلال الفرنسي وتوسعه بمنطقة سطيف خلال القرن التاسع عشر.

الكتابات التاريخية الوطنية المتعلقة بالمدن الداخلية او كما يعرف بالتاريخ المحلي لا يزال يأخذ مسلكا صعبا بالنظر الى الرصيد المتواضع من الإنتاج التاريخي ،مقارنة بالكتابات المتعلقة بالجانب السياسي العام للجزائر .ومدن مثل سطيف ورغم القيمة التاريخية التي تشكلت حول مساهمتها في الفعل الوطني ،إلا أنها لم تأخذ مكانتها في الكتابة التاريخية فيما يتعلق بفترتها المعاصرة،و تكاد تكون نادرة اذا استثنينا ما نقلته

الأقلام الفرنسية عن الذاكرة الجماعية لسكان المنطقة [1] .ورغم ان سطيف مثلت مركز إدارة إقليمية للشرق الجزائري خلال الاحتلال الفرنسي ، إلا أننا لم نجد ما يفيدنا من أرشيفها الكولونيالي المغيب محليا إلا ماهو موجود في مراكز الأرشيفات بفرنسا .

1. الاحتلال الفرنسي لمنطقة سطيف

كان للحملة الفرنسية على الجزائر منذ1830 جملة من المعطيات السياسية والاجتماعية التي ارتبطت بها حالة الجزائر قبل الاحتلال ككيان سياسي ضمن الشرق الاسلامي تحت راية الخلافة العثمانية منها:

1-جانب الوضع الذي آلت إليه مرحلة نهاية الحكم العثماني والضعف الذي وصلت إليه الدولة ،ومن جهة ثانية عامل الزعامات الأهلية التقليدية ورغبتها في استمرار نفوذها بالتعاون مع السيد الجديد في الجزائر، وهذا العامل نلمسه في التناقضات الاجتماعية الموروثة عن الفترة العثمانية على خلفية العلاقة بين السلطة والقبائل و القيادات الأهلية القديمة وتعاقبت على منطقة سطيف قيادات تركية التي كانت تشكل وحدة قبلية مؤلفة من قبيلة عامر الظهارة وعامر القبالة وأولاد نابت وكانت تحت قيادة عائلة اولاد يلس التي حكم بعضها مدينة المسيلة ، وكان أخر قيادتها على إقليم سطيف القايد بن هني قبل انتقال العائلة الى القرقور.كما

1- من بين الكتاب الذين اهتموا بمنطقة سطيف ومدنها كالبرج والمسيلة شارل فيرو في المجلة الإفريقية 1873"تاريخ مدن سطيف البرج مسيلة بوسعادة .

شهدت منطقة سطيف قبيل احتلالها صراعات بين القيادات الأهلية خاصة بين صف بن يلس وصف أولاد نابت بقيادة بوشناق .

تشير بعض الكتابات التاريخية [1] الى أن بعض القيادات أمثال احمد المقراني و بن قانة وبن يلس الذي كانت منطقة سطيف تحت نفوذه و بن سعيد وبوضياف قد انتقلوا في مارس 1831 الى الجنرال بيرتيزانberthezene بالجزائر وطرحوا عليه مسالة اخذ القيادة مقابل إحلال الأمن واخضاع المنطقة الى نفوذ فرنسا بواسطتهم، وكانت منطقة سطيف ضمن نفوذ كل من المقرانيين وبن يلس آنذاك.

وفي ظل انشقاق عائلة المقراني الى من انظم الى صف المقاومة بقيادة الامير عبد القادر مثل عبد السلام العيب وبين المتحالف مع فرنسا مثل احمد المقراني ، فقد كانت منطقة سطيف بين مد وجذب بينهما الى أن استطاعت القوات الفرنسية خاصة بعد احتلال قسنطينة 1837 و إرساء الجنرال فرانسوا دي نيقري francois de Négrier للمحلة العسكرية بالخروب، لتنفيذ المخطط الكبير الرامي إلى إخضاع المناطق الداخلية او الجنوب القسنطيني ومنها سطيف وبلاد الحضنة منذ 1838.

شكلت منطقة سطيف بالنسبة للقيادة العسكرية الفرنسية أهمية إستراتيجية كبرى من عدة جوانب ،أولها موقعها الجغرافي المتوسط لأقاليم القبائل والشرق القسنطيني وبلاد الحضنة وكذا وضعها الطبوغرافي المرتفع الذي أرادت من خلاله التحكم في طرق المواصلات للسيطرة على القبائل المتحركة وإخضاعها بسرعة

1-Gouvion,ed:ayane Almaghariba,imp.,jourdane,Paris,pp,190-220.

وكانت تحركات قبائل البدو الرحل المنتشرة بإقليم الحضنة والمرتبطة بأراضي التل من ابرز عوامل تكوين مركز أو دائرة سطيف العسكرية ، ومن جانب آخر كانت مسالة الاستيطان وان لم تظهر بالشكل الواضح آنذاك من أهم العوامل لتكوين قيادة جهوي للجيش الفرنسي بالشرق الجزائري تخضع لها أقاليم شمال الصحراء،خاصة بعد أن توطدت نسبيا الإدارة العسكرية الفرنسية على مناطق هامة كقسنطينة وميلة وبجاية وأتاحت لها معاهدة التافنة 1837.ودي ميشال التصرف في القطاع القسنطيني..

-كانت المحاولات الأولى لاحتلال سطيف قد بدأت في إطار السيطرة على الطرق الرابطة بين جميلة وسطيف منذ1838/1212/1 بحيث أعطى الجنرال قالبوا Galbois قائد قيادة الجيش بقسنطينة الذي كان موجود بمنطقة الحراكتة الأمر للقوات العاملة في إطار شق الطريق بين ميلة و قسنطينة مع قوات الفيلق الافريقي الثالث بالتوجه نحو سطيف للتمركز على بعد ستة أميال من مدينة ميلة مدعمين ب50 من الحماية المدنية بقيادة الرائد كادار Cadart وتكون القوة محية من الخلف بالفيلق الثاني للقوات الخفيفة وأعطي الأمر بانتظار قدوم قوة الجنرال قالبوا يوم 3 ديسمبر .

في 4 ديسمبر أعطي الجنرال قالبوا الأمر باحتلال مدينة جميلة حيث جهزت الحملة العسكرية بكل الوسائل والعتاد والحيوانات من اجل أن تكون الحملة نهائية بالنسبة لجميلةبعد يوم 6 ديسمبر. وانتقلت القوات الفرنسية نحو سطيف وأقامت مخيم عسكري قرب واد الرجاز في يوم 6 ديسمبر ، وقد اعترضت الحملة الفرنسية

صعوبات مناخية بعد تساقط الأمطار وتعذر استعمال الجنود للأخشاب مما دفع بالجنرال الى إعطاء أمر العودة لميلة ،خاصة وان عدد من الجنود قد لقي حتفه بسبب المرض والغذاء وتم ابقاء البعض(60 جندي) في دوار بن عزون . في حين لقيت قوات الفيلق الثالث صعوبات جمة وتفرقت خيولها وفقدت المؤونة ،الا ان عرب دوارس اعدوا القوات الفرنسية على الاسترجاع.[1]

11 /1838/12 وصلت أولى طلائع الحملة الفرنسية بالقرب من جميلة في ظل امن ومساعدة الاهالي ولم تحدث مقاومة تذكر ثم تحركت الحملة الفرنسية في 1838/12/14 نحو سطيف حيث وصلتها في 15 ديسمبر 1838على الساعة 9 صباحا ولم تكن بالقرب من الموقع الأثري لستيفيس مجموعات بشرية تذكر باستثناء موقعة جميلة التي حدثت بين 14الى 23 ديسمبر 1838 عندما حوصرت القوات الفرنسية التى بقيت بجميلة والتي فاقت 350 جندي بعد انتقال الجنرال قالبوا الى قسنطينة حيث تعرضت الى حصار من طرف المقاومة المحلية عندما كانت تقيم داخل الموقع الأثري الروماني لجميلة وسلبتها أمتعتها مما دفع بالجنرال قالبوا الى ارسال خمسة كتائب عسكرية لحماية الامن بالمنطقة .

وقد أقدمت السلطة العسكرية على إعادة الحملة على سطيف بعد أن تعرضت الى هجمات الأهالي ،بداية 1839 وأقامت بسطيف ستة أسابيع. وفي الوقت الذي أراد فيه الجنرال قالبوا التوجه نحو سطيف قابلته قوة مكونة من ما يقارب 500 فارس بقيادة الشيخ مسعود من قبيلة ريغا أرادت تقديم المساندة للجنرال،

1-caom:h27,rapport sur l'occupation du hodna 10/07/1840.

وفي الوقت الذي كانت فيه القوة الفرنسية تتقدم نحو سطيف أقام بن عبد السلام المقراني مخيمه بسيدي مبارك ، لذلك عمد الجنرال قالبوا على تجهيز قوة ضده مكونة من أربعة فرق escadrons و ألف من فرسان قبيلة ريغا و العلمة والعوامر[1] ، وكلف الجنرال لانو laneau بالتوجه يوم 25 ديسمبر 1838 نحو سيدي مبارك لمواجهة بن عبد السلام المقراني الذي فر بقومه وتشتتت فرقه نحو الجبال وعادة القوة الفرنسية الى سطيف دون قتال . وكانت مراكز الحراسة التي أقيمت بكل من جميلة وبني قشة وميلة قد ضمنت الطريق الرابط بين سطيف و قسنطينة .وبسبب تحرك بعض الاعراش الموالية للأمير عبد القادر بمنطقة سطيف فقد أمر الماريشال فالي باقامة استعراض عسكري محاولا ربط الجزائر بقسنطينة وكون ثلاث قسمات اثنتان بقسنطينة والثالثة بإقليم الجزائر.

الأولى بقيادة دوق اورليان duc Orleans وتنتقل من قسنطينة الى الجزائر عبر جبال الحديد بالبيبان وحمزة مرورا بسطيف ، والثانية بقيادة الجنرال قالبوا ومهمتها تدعيم انتقال الأولى من قسنطينة، و الثالثة بقيادة الجنرال روليار Rulliere ومهمتها الانتقال عبر واد قدارة عند مقربة القوة الفرنسية الوصول إلى الجزائر. منذ بداية سنة 1839 وصلت قوات فرنسية الى سطيف من اجل الاستطلاع ، وقدم خليفة مجانة المقراني خدمات جليلة للفرنسيين واستطاعت القوات الفرنسية بسط سيطرتها على منطقة سطيف خاصة بعد عبورها جبال البيبان

1-Mauris villard et yves brassard;les villes des uaut plateaux setifiens,tome 2,paris 2005,pp600-620.

1- مقاومة الأمير عبد القادر بمنطقة سطيف : 1838 -1840

تعتبر سنة 1837 بداية تنظيم مقاومة الأمير عبد القادر بمنطقة سطيف التي أصبحت منذ ذلك التاريخ ضمن إحدى الولايات الثلاث التي مثلت إقليم الشرق الجزائري وهي :

-ولاية برج حمزة تحت قيادة احمد الطيب بن سالم و كانت تظم حوض الصومام و جبال جرجرة ومنطقة البيبان

- ولاية مجانة تحت قيادة محمد بن عبد السلام المقراني و ضمت منطقة مجانة و سطيف و المسيلة و الحضنة [1] و منطقة البرج و التي كانت تظم قيادة وادي القصب التي تصل حدودها إلى جبال ونوغة.

- و لاية الزيبان و الصحراء الشرقية تحت قيادة كل من فرحات بن سعيد ثم لحسن بن عزوز، و تمتد من حدود الحضنة الشرقية إلى بسكرة و الواحات الشرقية .

و في هذه الأثناء حاول الأمير عبد القادر الاتصال بفرحات بن سعيد لمد نفوذه بالحضنة و الزيبان ،إلا أن بن سعيد كان قد وافق على مراسلات فالي VALLEYو اقترب أكثر بالفرنسيين الذين عينوه قائدا لإقليم الزيبان ببسكرة في 17 جانفي 1838 مما دفع الأمير عبد القادر إلى تعيين لحسن بن عزوز مكانه

1- يحي بوعزيز:مظاهر .المقاومة و روادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي في القرن الأصالة ع 79 الجزائر 1980 ،ص89.

سنة 1838 إعجابا بشخصيته و بانتمائه للزاوية الرحمانية لبرج بن عزوز[1] .
الظروف التي سادت خلال هذه الفترة بمنطقة الشرق الجزائري لم تكن لتساعد لحسن بن عزوز كثيرا من الوقت،حيث كانت عملية ولاء بن قانة للفرنسيين الذين عينوه شيخ العرب سنة 1839 بداية تقهقر مكانة بن عزوز العسكرية اثر الهزائم التي لحقت بقواته بالحضنة أمام[2] بن قانة في مارس 1840 أي ثلاثة أشهر قبل وصول الجيش الفرنسي للحضنة .
و في الجهة الجنوبية لسطيف ظهرت مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي مبكرة، حيث اتخذ الأمير من جبال ونوغة قاعدة انطلاق في تسيير المقاومة بجنوب سطيف و بالحضنة.و بعد عقد معاهدة التافنة 30 ماي 1837،بدأت البيعة الشعبية تتوالى عليه بمختلف مناطق الحضنة[3] ،وعمد الأمير في البداية إلى تولية الحاج محمد بن زعموم[4] بقيادة المقاومة في المنطقة، في الوقف الذي حاول الأمير إيجاد حلفاء له بالحضنة ومجانة التي كانت تابعة لها سابقا سطيف اللتان تخضعان الى قيادة كل من فرحات بن سعيد في الشرق و المقراني في الغرب ، وقام باجتماع

2- ابو القاسم سعد الله،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)الطبعة الثالثة ،الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر،1982،صص 95.96..

2- ابراهيم مياسي،الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1834-1837 دار هومة ،الجزائر،2005،ص35. -

3 -Robin,(N):notes historiques sur agha yahia,in revue africaine, n° 18,1874,p 332.

4 -Robin,(N) :Ibid, p 333.

مع أحمد المقراني ومحمد بن عبد السلام المقراني، ومال الأمير في الأخير إلى تعيين محمد بن عبد السلام العايب كخليفة له بمجانة. وربما هذا الاختيار من جانب الأمير مرده الصداقة القديمة التي كانت بين أحمد المقراني وأحمد باي قسنطينة، كما كان ذلك دافع لأحمد المقراني إلى إعلان الولاء لفرنسا التي بادرت إلى تعيينه خليفة على مجانة في 30 ديسمبر 1837[1].

ورغم أن احمد باي قد التجأ إلى الحضنة بعد سقوط قسنطينة 1837 إلا انه لم يحاول استغلال قدوم الأمير عبد القادر إلى الحضنة1838 وربما مرد ذلك انه كان يحارب ليس ليمد سلطانه بل من اجل سلطة محلية،لذلك لم يتفق احمد ياي مع الأمير الذي كان يرى فيه دعيا متطاولا على السلطة مستعملا الدين كوسيلة للوصول إلى الحكم ،ومما زاد من شك احمد باي في الأمير أن هذا الأخير قد وقع اتفاقيات مع الفرنسيين مثل معاهدة دي ميشال1834 و معاهدة التافنة 1837[2]. و أعلن من جانبه بوضياف بن بوراس الذي يتمتع بنفوذ قوي بالحضنة[3] ولائه للأمير عبد القادر ،–وان كان لوقت قصير –وقام الأمير بتعيينه أغا

1 -Peyronnet,(R):L'ivre d'or des officiers des affaires Indigenes ,1830,1930,Imp. , P Gianchain Alger, 1931, p 29.: CAOM:,8h7,note historiques et géographique sur m'sila ,bousaada, bordj bouareridj

2–ابو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ص146.

* اطلق على صف بوضياف بصف واد المسيلة وصف بوعزيز بصف واد الشلال الذي يبعد عن مدينة المسيلة). م caom:8h7;historique de cercle de Bousaada ب20كم الى الجنوب وهو منطقة عرش اولاد ماضي .

على88 الحضنة.و كلف الأمير كل من بوضياف و خليفته بالحضنة البركاني. بمهمة إلى الزيبان مع تعزيزهما بوحدات من الجيش .

لم تستقر القيادة التي عينها الأمير على الحضنة فترة طويلة بحيث حصل الخلاف بعد رحيل الأمير نحو عين ماضي 1838 بحيث قام البركاني بعزل بوضياف و تعيين حامد بن عمر' سنة 1838و لعل هذا التغيير كان السبب في إطلاق سراح العدو القديم لبوضياف الشيخ عبد الله بن بوعزيز ويكون هذا الحدث عاملا هاما في انشقاق عرش أولاد ماضي في الحضنةإلى صفين صف بوضياف *و صف بوعزيز.و قد سهلت مثل هذه الانقسامات و الخلافات من مهمة القوات الفرنسية التي وجدت سندا لها من جهات متعددة من الأعيان.[1]

كما كان دور عبد السلام المقراني في مواصلة الحرب ضد فرنسا وحليفها أخوه أحمد بمنطقة سطيف في تغيير الأمير عبد القادر لموقفه ويعيد عبد السلام المقراني على خلافة مجانة التي كانت سطيفر ضمن نطاقها .بعد أن قامت فرنسا بإصدار قرار 22 أفريل 1837 م القاضي بتعويض أغا لعرب[2] و إلحاق مهامه الخاصة بشؤون الأهالي لقيادة الجيش لمدة عامين وفق سياسية بوجو Budjeaux اللامركزية (بتأسيس المكاتب العربية بقرار 1 فيفري 1844[3]).

1 -CAOM:8h7, notice historique et géographique sur bousaada, bordj bouareridj,m'sila,

2- CAOM: op-cit..

3 -La Phalange :Journal de la science social,découverte,volume 5 janvier juin 1842,3ém série,p 4.:Revue africaine,volume 28,journal des travaux de la société historique ,p327.

في جانفي 1840 تم تعويض فرحات بن سعيد ببوعزيز بن قانة كخليفة على الصحارى وكانت من ضمن مقاطعاتها الحضنة الشرقية ،إلا أن بن قانة لم يستطع إخضاعها للسلطة الفرنسية مما جعل هذه الأخيرة تستحدث قيادة الحضنة سنة 1844.ووضعت على رأسها سي محمد بن سي محمد الحاج وهو شخصية دينية معروفة.

2. تأسيس مركز سطيف العسكري

كانت مسالة تكوين مركز عسكري بسطيف قد ظهرت عقب بداية التوسع الفرنسي بالمنطقة ،وقد حاولت القيادة العسكرية أن تجعله بالمنطقة الأثرية الرومانية بسطيف setifis.[1] من خلال رسالة بعث بها الماريشال فاليvalley الى الضابط قالبوا galbois بتاريخ 1839/09/14 يؤكد له فيها أهمية منطقة سطيف و ضرورية الإسراع في تجهيز حامية عسكرية قوامها 300 جندي الى

1 – للبحث في التاريخ الاثري لمنطقة سطيف انظر

: Une inscription chrétienne inédite, relative à des martyrs, découverte à Sétif et communiquée par M. Gsell ET Paul Monceaux -Comptes-rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres Année 1917Volume 61 R. Guery, *La nécropole orientale de Sitifis (Sétif, Algérie), fouilles de 1966-1967*. Etudes d'Antiquités africaines [compte rendu] Camps Gabriel
Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée Année 1985 Volume 40 Numéro 1 pp. 176-177
Numéro 4 pp. 185-188

جانب 50 حصان على الأقل خلال أشهر الشتاء وقد أوكلت القيادة مؤقتا للرائد موتوبان mautaubanالذي قام بتجهيز الحامية بالاستعانة ببعض الأتراك المتواجدين هناك وقد حرص الماريشال ان تكون العلاقة حسنة مع الأهالي خاصة عرش العوامر الذي حاولت فرنسا ان تستفيد من دعمه في مواجهة قوات الأمير عبد القادر ، الى جانب الاعتماد على دعم خليفة مجانة . وقد كان الاهتمام بمنطقة ومدينة سطيف لموقعها الاستراتيجي بحيث تتوسط أقاليم بجاية وقسنطية وقريبة من مجانة.وقد اتخذت القيادة امر احتلال مركز سطيف يوم 23 اكتو بر 1839

وقد بدا الجيش الفرنسي في رفع الأحجار الرومانية لبناء القلعة الدفاعية التي أعطتها اسم بور اورليان port d'orleans كما تم رفع البناء الى طابقين مع جدار دفاعي باكثر من 2م في العلو وبناء مستشفى ل30 مريض بالقرب من اسطبل الباي القديم .

وقد ضم المركز العسكري في بدايته ما يفارب 600 عسكري كان الغرض من تواجدهم تحقيق الامن للوحدات العسكرية و توسيع حركة المعمرين الجدد خاصة بأراضي مجانة وبازر سكرة والعلمة .

والسيطرة على عروش أولاد عبد النور والقبائل بزمورة وجبال البابور .

قام الحاكم العام بتعيين ماريشال على مركز سطيف الذي حوله الى مقاطعة subdivision ودعمه بقوة عسكرية بعد احداث1839 قاربت 2600 عسكري .

والمعروف انه عندما أرادت فرنسا تأسيس مركز سطيف العسكري سنة 1838 من اجل التصدي لهجمات أنصار الأمير عبد القادر وان يكون حلقة اتصال سهلة بين الفرق العسكرية الفرنسية المنتشرة بأقاليم التل وحواف الصحراء ، الا انه سرعان ما تحول المركز الى محطة أساسية للتوسع الاستعماري نحو مناطق الحضنة وأراضي الحبوب و التحكم في الطريق الرابط بين الجزائر وقسنطينة منة جهة ومنطقة القبائل من جهة اخرى لذلك قامت بالشروع في شق طريق من سطيف الى بجاية بداية 1839 .

وكان تشكيل مركز سطيف كالتالي [1]:

المشاة 2600 جندي مع 70 حصان الرماة من الأهالي 100 مع 3 أحصنة .

قناصي إفريقيا 370 جندي مع 370 حصان.

الصبايحية 180 مع 1870 جندي. المدفعية 159 مع 70 حصان .

الهندسة العسكرية 85مع 19 حصان

عمال الإدارة و التجهيز 240 مع 214 حصان

المجموع: 3563 جندي مع 955 حصان .

ومن جانب أخر أراد الماريشال بناء ثكنتين عسكريتين تضم الأولى ما يقارب الألف جندي و الثانية 500 جندي . وقد دفع تكوين هذه الثكنات العسكرية

1- Ferud Ch. histoire des villes de la province de Constantine in Revue Africaine 1872 pp11-20.

الى طلب الحاكم العام مضاعفة عدد الجيش و تجهيز المركز لأهميته في حماية التوسع نحو الجنوب خاصة منطقة الحضنة .

ويمكن اعتبار سنة 1840 السنة التي استطاعت فيها فرنسا السيطرة على الإقليم بصفة واسعة مكن قيادتها من جعلها محطة انطلاق الحملات العسكرة الكبرى نحو الجنوب الجزائري خاصةة عندما تولى الجنرال دي نيقري Francois de negrier[1] القيادة العسكرية على الشرق الجزائري من قسنطينة وأقام قاعدة عسكرية بالخروب وبدا بالحملات التوسعية نحو أقاليم جنوب قسنطينة كسطيف وبرج بوعريريج والمسيلة.

وهكذا تحول المركزالعسكري بسطيف الى شبه مدينة ذات أحياء عسكرية خاصة بالجند والخيول والعتاد وتم بناء منذ وصول الفيلق 19 للقوات الخفيفة في أكتوبر 1842 عدة منشات مثل المستشفى والسجن والكاتدرائية الكاثوليكية

1-الجنرال فران سواد نيقري François de negrier من مواليد 1788 ابن الضابط شوفا لي في عهد لويس 16 تطوع في الجيش منذ 1805 كان أحد الضباط الذين تسلموا ترقيات الإمبراطور نابليون بونابرت في حربه ضد روسيا 1812 ---وحصل على رتبة ضابط نيشان شرقي legion d'honneur بعد معركة واترلو أصبح كولونيل منذ 22 أوت 1830 في الفرقة 54،عين على رأس القوة التي توجهت قسنطينة 1838 إلى 1841 حيث امتاز بالانضباط والالتزام بالقانون لقبه لأهالي السلطان العادل توفي 1842 – أصبحت له مستعمرة باسمه في وهران منذ تأسيسها 1849 لمزيد من المعلومات أنظر : " ."Livre d'or des officiers Indigenes. Peryronnet

والمسجد والمكتب العربي والفندق وغير ذلك.وتم توسعة المركز سنة 1845 في إطار الحملة على بجاية وارتفع عدد المنازل الى 50 مسكن في 1846.وتحول جدار المركز الى سوق أسبوعي يوم الأحد تعمره أعداد من الأهالي تصل إلى 4000 شخص[1]. وقد كتب ضابط هيئة أركان جيش إفريقيا إلى الجنرال فالي في 20 ديسمبر رسالة أكد له فيها أهمية تكوين مركز سطيف الذي تحولت جدرانه الى سوق هام اصبح يأتيه من كل صوب الأهالي وأصبحت مشايخ الأهالي تقدم الإعانات والأخشاب إلى المركز واقبل كثير من زعماء ومشايخ الاعراش يقدمون رسائل الخضوع مثل الشيخ سي الحاج بن القبايلي شيخ أولاد مهان .

3. تأسيس قسمة سطيف 1845 Subdivision de Setif:

كان تحول المركز العسكري لسطيف الى قسمة إدارية جزء من سياسة تطبيق الإدارة الفرنسية الجديدة على الجزائر في إطار تكوين العمالات و القسمات المدنية في الشمال و البلديات المختلطة في الجنوب في إطار توسع حركة الاحتلال نحو الجنوب الجزائري . عمدت الإدارة العسكرية بداية احتلالها للشرق الجزائري الى تقسيمه الى عدة دوائر عسكرية Cercles ضمن مقاطعة قسنطينة Province de Constantine وهي قسمة عنابة وقسمة قسنطينة وقسمة سطيف و

1 -André prenant: facteur du peuplement d'une ville de l'Algérie intérieure Sétif, in annale de géographie 1953, volume 62 numéro334, pages 435-453.

عروش الصحراء كل دائرة تجمع ضمنها عدة قبائل او عروش وكل عرش يظم عدة فرق.

جعلت حدود قسمة سطيف من الشرق وادي الذهب ومن الغرب نفس الحدود مع مقاطعة الجزائر ومن الشمال جبال البابور تحت سيطرة أولاد خالد و ووادي العجبي ومن الجنوب جبال ونوغة وريغا وجبال بوطالب .[1]

تنظيم القيادة بدائرة سطيف 1844:

وضمت دائرة Subdivision سطيف : خليفة مجانة والساحل البابور و قيادة عامر الغرابة وريغا والمسيلة والميدات والحضنة وقد شملت التقسيمات التالية:

دائرة سطيف:شملت قبائل ريغا الظهارة بمجموع السكان 7500نسمة في 1256 خيمة وريغا القبالة 5300 نسمة ب1010 خيمة وعامر الغرابة 17000 نسمة ب 3250 خيمة والعلمة 5000نسمة ب 1005 خيمة و 3 مساكن فقط والعوامر

1675 نسمة و 190 خيمة و155 كوخ وزمورة 1701 نسمة و 341 مسكن و20 خيمة وخروبة الغزالة2485 نسمة و481 خيمة و32 كوخ و عين الترك 1075 نسمة ب215 خيمة وأولاد قاسم 675 نسمة ب135 خيمة وأولاد موسلي400 نسمة ب80 خيمة .

1- رسالة الجنرال بيجو في 1841/03./14.

وخلال سنة 1871 أصبحت دائرة سطيف مقسمة الى 19 قيادة و12 مشيخة اضافة الى الحي المدني وهذه القيادات هي :

القيادات العربية :عامر الظهارة وعامر القبالة وريغا والعلمة وقلال وأولاد موصلي وعين تاغروت وأولاد نابت .أما القيادات في بلاد القبائل التابعة لسطيف فهي :قرقور–عموشة –بني ورثيلان بني يعلا– واد الساحل –بني شعبانة– ايلولة– بني عادل–بني سليمان.

أما المشيخات فهي:بني إسماعيل – السبتية –بني تيزي– بني مراي –بني فلكاي– بني جبرون–بني منالله–بني دراسن– لرباع–لغلام – أولاد صالح.

4 . تأسيس بلدة سطيف وتطور حركة الاستيطان بها:

لم تكن بمنطقة سطيف تجمعات سكانية على النحو الذي آلت اليه عشية احتلالها ولتكن هناك مباني إنما خيم لقبائل منها المتحركة ومنها المستقرة، ومع استقرار القوة العسكرية منذ 1840 بدأت السلطة العسكرية في توسعة حركة البناء والسكن للجيش ثم المعمرين الجدد،

كانت بلدة سطيف التي بدا بنائها محاذات جدار المركز العسكري وضمت ما يقارب 50 دار .[1]كانت السلطات السياسية والعسكرية تمهد من خلال توسع حركة الاحتلال ،تهيئة الظروف لقدوم المعمرين الأوربيين

1-Mauris Villard et Yves Rassard: op-cit,pp;630-650.

بسطيف ، وحسب إحصاء الفرنسيين فان مجموع الفرنسيين بالشرق الجزائري قد بلغ في 30 سبتمبر 1843 ما يقارب 10216نسمة موزعة كالتالي: بجاية 495 وجيجل 198 وسكيكدة 3265 وعنابة 4959 والقالة 179 وقسنطينة 800 وسطيف 133 وقالمة 195.

ولم يكن هؤلاء المعمرون الجدد بالشرق الجزائري أو سطيف عمال زراعيين بل تجار وصناعيين . وقد تطور عدد المعمرين بمدينة سطيف الى 199 معمر بتاريخ 31 ديسمبر 1842 ثم 232 في ديسمبر1844 ، وأقام هؤلاء المعمرون الجدد بسطيف مباني وعمران قدر قيمته الفرنسيين سنة 1842 ب 120000 فرنك فرنسي ثم ارتفعت القيمة سنة 1843 الى 275000 ف ف ثم الى 475000 سنة 1844.إلا أن هذا التطور في انجازات المعمرين لم تمثل القاعدة الأساسية للمشروع الاستيطاني بسطيف لان هؤلاء المعمرون اهتموا بالنشاط التجاري الغير مرتبط بالأرض، وهذا ما دفع السلطات العسكرية الى البحث على وسائل تدعيم القطاع الفلاحي من خلال إنشاء شبكة من الطرق الرابطة لسطيف . واهتمت بالتخطيط لتاسيس مدينة أوربية ، وخلال سنة 1844 اقامت مصنع لطحن الحبوب ومشتلة غرب الحصن العسكري لسطيف لغرس 30000 شجرة بمساحة 5 هكتارات وظهر اول مسكن بسطيف في 1844 خاص بالعمال والحراس. وقارب عدد المساكن نهاية 1844 خمسون منزل اغلبها للجنود لحماية المركز العسكري .

في سنة 1849 قام الجنرال بارال Baral ثم الجنرال قورمال Gourmel بتدشين مشروع الطريق الرابط بين بجاية وسطيف وتم إنشاء ثلاثة أبواب لسور المدينة وهم باب بسكرة وباب قسنطينة وباب الجزائر.

5. تطور حركة السكان بسطيف[1]:

مدينة سطيف مدينة كولونيالية من حيث طبيعة سكانها المعمرين ،فقد أنشئ أول مركز سكني مدني بقرار 11 فيفري 1847 وتم توكيل الأمن لمحافظ شرطة مدني في 1851و تم تكوين بلدية سطيف يوم 1856/06/17 وتم تحويل المحافظة المدنية الى دائرة مدنية Sous Préfecture في ودعمت بمحكمة في 1858 ووصل عدد سكانها سنة 1851 وكلهم أوربيون 727 نسمة ، وقد حدد مرسوم المجلس المشيخى Senatus Consulte ل1863 مساحتها ب20 ألف هكتار ، وقد شهدت مدينة سطيف عودة محسوسة للأهالي كعمال زراعيين حيث بلغ عددهم سنة 1861 ح)والي 6310 نسمة بقي اغلبهم خارج أسوار المدينة في حين وصل في نفس السنة عدد الأوربيين الى 3562 نسمة 5من 6 منهم فرنسيين [2]. وساهمت السياسة الاستيطانية في احتلال الاراضي من

1-André Prenant: facteur du peuplement d'une ville de l'Algérie intérieure Sétif, in annale de géographie 1953, volume 62 Numéro334, pages 435-453.

2-Ministère de la guerre :notices sur la division territoriale et la populations indigène de l'Algérie, Paris, imprimerie royale 1846.pp80-100.

خلال القرار الخاص بنزع الملكية لصالح المعمرين الجدد الذي نزع في 1853/48/23 ما يزيد عن 20 الف هكتار

إلا أن الأحداث التي شهدتها منطقة سطيف كباقي مناطق الشرق الجزائري مثل برج بوعريريج والحضنة و مجانة ومنها مجاعة 1866 و انتفاضة المقراني 1871 جعلت عدد سكان سطيف يصل سنة 1882 الى مجموع 10281 نسمة منهم 3804 أوربيين و 6477 مسلمين .والسكان الحضر لسطيف كمدينة لم يتجاوزوا 5833 نسمة .

6. القيادات الأهلية بدائرة سطيف[1] :

حافظ الغزاة الفرنسيون على تسمية القايد والآغا السائدة خلال الحكم العثماني وأضافوا إليها الباشاغا.. لكن بمضمون دون المضامين السابقة، بعد أن أصبحت عنوانا لمهام تنفيذية، تختلف في جوهرها عن المهام السابقة القريبة من الوظائف السلطانية(السيادية).

وأبرز دليل على هذا التدني في الأهمية، أن هذه الأسلاك المساعدة أصبحت تحت إشراف هيئة عسكرية باسم "المكتب العربي لسطيف"Bureaux Arabes. فقياد القبائل مثلا، أصبحوا يعينون على هذا المستوى ، حيث يوجد مكتب رئيسي للشؤون العربية يديره ضابط برتبة عقيد. ويأتي اقتراح تعيين هؤلاء من مكتب الدوار للشؤون العربية. و المعروف أن منطقة سطيف كانت قبل هذا التاريخ تحت

1-Centre d'archive d'outre mer ,aixe -en- Provence; série h,cercle de Setif, tableau d'organisation administrative.1850.'

قيادة كل من أحمد المقراني خليفة مجانة بعد انقسام عائلة المقراني إلى صفين، حيث تولي عبد السلام المقراني خلافة الأمير عبد القادر في مقاومة الاحتلال, إلى جانب شيخ العرب فرحات بن سعيد قبل أن تنزع منه القيادة لصالح بن قانة .بينما اتجه احمد المقراني إلى صف فرنسا .

و تكونت بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر الشرقية خمس خليفاتkhalifas او قيادات كبرى بمقاطعة او Departement قسنطينة تحت سلطة الحاكم العام و تحت السلطة المباشرة لقيادة الجنرال قائد المقاطعة الذي يملك الصلاحيات الواسعة في مقاطعته ، وكانت سلطة شيخ العرب و خليفة مجانة تتم باسم فرنسا.

وعملت فرنسا في البداية على استقطاب العائلات النافذة بسطيف مثل عائلة بن يلس وعائلة بن بوشناق وعائلة المقراني وغيرهم كوسيلة للنفوذ و السيطرة على الأهالي[1]، لأن منطقة سطيف و نظرا لتكوينها الاجتماعي و صعوبة اختراق عروشها ،والتي عادة تتضامن فيما بينها ضد الدخيل الأجنبي و تنسى خلافاتها التقليدية جعلت فرنسا في وضع صعب عليها مسالة إدارتها .

وحاولت فرنسا استغلال الانقسامات التقليدية بين قبائل المنطقة و حتى التي طرأت عقب ظهور الاحتلال مثل الصراع بين عائلة بن بوشناق من جهة

1 – عثرنا على عدة رسائل مرسلة من قبل كبار أعيان المنطقة مثل كبير عرش أولاد ماضي الشيخ بوضياف و كذا الشيخ فرحات بن سعيد الى فرنسا تريد من خلالها اخذ جانب من إدارة الأهالي باسمها –CAOM

والقبائل التي انضوت الى جانب الأمير عبد القادر , فعائلة أولاد المقراني انقسمت إلى صفين صف أحمد المقراني الذي أعلن انضمامه الى جانب فرنسا و قيادات الحضنة وأولاد دراج .و من جهة أخرى كانت منطقة الزاب المحاذية[1] لجنوب سطيف مقسمة إلى صفوف منذ أواخر العهد العثماني, صف بوعكاز وصف بن قانة). **واهم القيادات الاهلية التي تولت ادارة القبائل سنة 1850[2] هي:**

العرش	قايد العرش	الفرق التي ضمن العرش
العلمة الغرابة	بوضياف احمد بن الصغير(من المسيلة)	العلمة الظهارة أولاد سعيد بن سلامة
بني إبراهيم	لخضر بن سليمان(شيخ)[3]	بني إبراهيم
عامر القبالة	الذوادي بن الكسكاس	عامر غرابة ولقبالة
عامر الظهارة	محمد بن فرحات	عامر الغرابة والظهارة
اولاد نابت	بن بوشناق	أولاد نابت
اولاد قاسم	علي باي بن فرحات	أولاد قاسم
قلال	احمد باي بن الشيخ	قلال

2-Centre d'archive d'outre mer,aixe-en-provence;serie h,cercle de setif,tableau d'organisation administrative.1850.'
3-Centre d'archive d'outre mer,aixe-en-provence;serie h,cercle de Setif, tableau d'organisation administrative.1850.'

	المسعود(شيخ)	
ريغا القبالة	المسعود بن السعادي	ريغا الزرقية–اولاد المداسي–اولاد عمر بن سباع–اولاد حاجز–اولاد بوسلامة–اهل النوال–اهل بوخالب–اهل الحمة–
ريغا الظهارة	محمد الصغير بن الشيخ ساعد	ريغا المزرقية–اولاد سي احمد–اولاد تبان–اولاد ابراهم–الارباع–القطافة–اولاد مهالله–اولاد عبد الواحد–الشرارحة–اولاد سيدي صالح–العياظات–اولاد زعيم–
عياض[1]	احمد بن عبد الله	عياض–اولاد العياضي –اولاد سي حسان–اولاد سيدي سعيد–اولاد الحاج–اولاد بوخليفة
عين تاغروت	الحاج مسعود بن عبد السلام	السدراتة–اولاد سيدي بوناب–الغرازلة
عين الترك	عبد الرحمن بن القندوز	اولاد يحي–السماشة–اولاد عبد الله
اولاد موصلي	جودي بن ابراهيم (شيخ)	اولاد موصلي–اولاد سباع–بني اوسين
قرقور	محمد الصغير بن العداج	اولاد خباب–رونة الشعبة–قرقور

1-Caomm .op-cit.

أما قبائل بني سليمان بني بوعيسي وبني إسماعيل فقد بقيت تحت إدارة الجماعة المحلية باعتبارها لم تخضع بصفة نهائية للإدارة الفرنسية المباشرة .

وقد استمرت مسالة تنظيم وإدارة الأهالي بمنطقة سطيف كباقي مناطق الجزائر بين 1838-الى 1871 في إطار سيطرة المكاتب العربية العسكرية ،وسمحت ظروف ما بعد انتفاضة المقراني 1871 وتشتت السكان وهجرة البعض وتهجير الآخرين[1] الى تسهيل مسالة حركة الاستيطان بقوة بمنطقة سطيف.

إن مسالة احتلال المدن الداخلية للجزائر ومنها منطقة سطيف وان لامس التاريخ الوطني بعض جوانبها، إلا انه في اغلب الحالات لاتزال تحتاج الى مزيد من البحث والتنقيب الذي من شانه أن يسلط الأضواء بشكل كبير قد يكشف الظروف والملابسات التي نغفل معظمها والتي من شانها وضع قاعدة هامة لتأسيس التاريخ المحلي بصورة مفيدة لمسار التاريخ الوطني العام للجزائر.

1 -نقصد بهم قبائل الحشم المقرانيين الذين صودرت أراضيهم الخصبة بإقليم التل بمناطق مجانة وسيدي مبارك وعين تاغروت والبرج والعناصر وسطيف وغيرهم وتم تهجيرهم بالقوة نحو أراضي الحضنة الجافة منذ 1872 للمزيد حول هذا الموضوع .انظر:بيرم كمال: الوجه الاخر للاستعمار الفرنسي في الجزائر:تفتيت قبائل حشم المقراني بعد انتفاضة 1871-المجلة التاريخية المغاربية عدد137 فيفري 2010 صص149-166.